ترتيب حروف العربيّة

حروف العربيّة (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

وهذه الحروف رُتِّبَت على ثلاث صور، وقد اختلف الترتيب تبعًا لاختلاف المعايير الّتي اعتمدها واضعو الترتيب، وهي:

١ – الترتيب الأبجديّ. ٢– الترتيب الألفبائيّ. ٣– الترتيب الصوتيّ.

ولكلّ من هذه الثّلاثة معيارٌ خاصٌّ بُنِيَ عليه.

١– الترتيب الأبجديّ:

الابتداء بالكلام عن الترتيب الأبجديّ عائدٌ إلى كونه الأقدم بين هذه الترتيبات الثلاثة، إذ يتعلّق الكلام عن هذا الترتيب بالكلام عن أصول نشأة الكتابة العربيّة؛ لأنّ الحاجة إلى الكتابة تستدعي وضع حروف متصالحٍ عليها تُستعمل في الكتابة العربيّة، وبالتالي عن أصل نشأة الحروف العربيّة.

وقد أخذ العرب هذه الحروف من اللّغات الساميّة، ولا سيّما النبطيّة والسريانيّة، وهما مأخذوتان من الخطّ الفينيقي الكنعانيّ، والحروف في هذه الأبجديّة اثنان وعشرون حرفًا، جُمِعَت في كلمات، هي: (أبجد، هوَّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت).

وزاد العرب هذه الحروف من الساميّة بالترتيب نفسه، ولكنّهم زادوا عليها أحرفًا استُعمِلَت في العربيّة، وليست في الأبجديّة الساميّة، والحروف الّتي زادها العرب سُمّيت بـ(الرّوادف)، وهي: (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، جمعوها في كلمتين، هما: (ثخذ، ضظغ).

وعلى ضوء ذلك صارت حروف الأبجديّة العربيّة ثمانية وعشرين حرفًا مجموعة في كلمات: (أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ).

أمّا معيارُ هذا الترتيب، فقد اختلفت التفسيرات في تحديده، وأشهر هذه التفسيرات ثلاثةٌ، هي:

- التفسير الأوّل: أنّ هذه الكلمات أسماءٌ لأشخاص هم أوّل من وضع الخطّ العربيّ، وقد كانوا ملوكًا، فسُمِّيَ الهجاء بأسمائهم.
- التفسير الثّاني: أنّ هؤلاء الّذين ذُكِرَت أسماؤهم قومٌ من العرب، أسماؤهم: أبو جاد،

هواز، حطي، كلمون، صعفص، قريسأت).

- التفسير الثّالث: أنّ هذه الحروف قد جُمعت على وفق هذا التّرتيب (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)؛ بغية حفظها على هذا التّرتيب؛ لأنّهم كانوا يستخدمونها للأرقام قبل اقتباس الأرقام الهنديّة، إذ كان لكلّ حرف قيمة رقميّة ملتصقة به، والقيم الرقمية هي: أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و = ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠، ك = ٢٠، ل = ٣٠، م = ٤٠، ن = ٥٠، س = ٦٠، ع = ٧٠، ف = ٨٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ش = ٣٠٠، ت = ٤٠٠.

ولما اقتبسها العرب إلى الأبجديّة، فزادوا عليها الروادف (ثخذ، ضظغ)، جعلوا لكل حرف من الروادف قيمة رقميّة تُتِمّ القيم الرقميّة، على وفق ما يأتي: ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠.

ويرتبط بهذا ما يسمّى بحساب الجُمَّل أو التّاريخ الشعريّ.

ولم يُعتَمَد هذا النّظام في تصنيف المعجمات وترتيب المواد اللغويّة فيها.

٢- الترتيب الألفبائيّ:

لما ظهر اللّحن في العربيّة بعد اختلاط الألسن وكثر التّصحيف حتّى وصل إلى قراءة القرآن الكريم احتاجت العربيّة إلى علامات لتمييز الحروف المتشابهة، وقد وضع هذا العمل على كاهله نصرُ بن عاصم اللّيثيّ، فرأى أنّه لا بُدّ للوصول إلى الهدف المنشود من تغيير في ترتيب حروف العربيّة عن التّرتيب الأبجديّ القديم، ولا بُدّ من إحلال ترتيب جديد محلّه، فكان التّرتيب الألفبائيّ الّذي يقوم على وضع الحروف المتشابهة في الرّسم بعضها بجانب بعض، فصار الترتيب: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

وقد اعتمد نصرُ بن عاصم آليّة محدّدة في ترتيبه حروف العربيّة، كانت على النّحو الآتي:

- جعل الأحرف المتشابهة في صورة الرّسم جنبًا إلى جنبٍ.
- اعتماد الترتيب الأبجدي للانطلاقة، والتعديل عليه.
- تقديم إهمال الحرف على إعجامه في الترتيب.

لقد ابتدأ نصر بن عاصم بأحرف (أبجد)، فوضع الألف أوّلًا، ولما لم يكن له شبيهٌ، انتقل إلى الباء، فجمع معها أشباهها (ت، ث)، فوضع للباء نقطة تحتها، وللتّاء نقطتين فوقها، وللثّاء ثلاث نقاط، ثمّ أخذ الجيم، فألحق بها الحاء والخاء؛ لتشابهما في الرّسم، فوضع للجيم نقطة تحتها، وللخاء نقطة فوقها، وترك الحاء بينهما مهملة من دون نقطة، ثمّ أخذ الدّال، فألحق بها الذّال؛ للتشابه بينهما، فترك الدّال مهملة، ووضع نقطة فوق الذّال، فانتهى من (أبجد) إلى ترتيب (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ).

وانتقل بعد نفاد أحرف (أبجد) إلى أحرف (هوّز)، فترك الهاء والواو؛ لعدم تشابههما مع غيرهما، وأخَّرهما في التّرتيب، وأخذ الزّاي، وجعل الرّاء بجانبها، تسبقها، لأنّه كان يقدّم المهمل على المعجم كما قدّم الحاء على الخاء قبلها، والدّال على الذّال، فأراد أن يجعله على نسق واحد، هنا وفيما سيأتي.

ثمّ انتقل إلى كلمات (حطّي، كلمن، سعفص)، فوجد أنّ الطاء والسين، والعين، والفاء، والصاد، لها متشابهات، فجمع كلًّا منها بشبيهها، فجعل السّين مهملة، ثمّ جعل بعدها الشّين، ووضع فوقها ثلاث نقاط؛ كي لا يلتبس أحد أسنانها بما يشابهه كالباء والتاء والثّاء.

ولما اختار نصر بن عاصم تقديم المهمل على المعجم جاء بالسّين المتقدّمة في الأبجديّة مهملة، وألحق بها الشّين معجمة، ثمّ جاء بالصّاد مهملة؛ لتقدّمها في الأبجديّ على الضّاد الّتي أعجمها، وهكذا الطّاء والظّاء، والعين والغين، والفاء والقاف، وقد أعجم الفاء بواحدة؛ دفعًا لالتباسها بالميم، وجعل القاف بنقطتين لتمييزها عن الفاء.

وأخّر أحرف (كلمن)؛ لأنّها منفردة لا يشابهها غيرها، فوضعها كما رُتّبت في الأبجديّة.

وقد أعجم النّون بنقطة من فوقها؛ كي لا تلتبس بالباء والتّاء، ثمّ ختم بالهاء، فالواو، فالياء الّتي أعجمها بنقطتين من تحتها؛ كي لا تلتبس بالباء أو التّاء أو النّون إذا ابتدأت بها الكلمة أو توسّطتها، وأُهمِلت الهاء والواو؛ لعدم تشابههما مع حرف آخر؛ وقد رُتّبت هذه الأحرف الثّلاثة كما كانت مرتّبة بهذا التّتابع في الأبجديّة.

وسُمِّي هذا التّرتيب الّذي اصطنعه نصر بن عاصم بالألفبائِيّ، والهجائيّ، والأبتثي.

وقد اعتمد أكثر مصنّفي معاجم المفردات الترتيب الألفبائيّ في تصنيفهم وتقسيم الأبواب والفصول وترتيب المفردات، ومن أشهرهم: الجوهريّ في (الصّحاح: تاج اللغة وصحاح العربيّة)، والزّمخشريّ في (أساس البلاغة)، وابن منظور في (لسان العرب)، والفيروزآبادي في (القاموس المحيط).

٣ – الترتيب الصوتيّ:

ابتكر هذا التّرتيب لحروف العربيّة الخليلُ بن أحمد الفراهيديّ، وبيّنه في مقدّمته لمعجمه (العين)، ولكنّ ما يجب معرفته أنّ الخليل لم يكن يقصد هذا الترتيب لذاته، بل أراد ابتكارَ طريقة علمية جديدةٍ لترتيب موادّ معجمه؛ نأيًا منه عن الترتيبَين الأبجديّ والألفبائيّ.

ولم يرد الخليل أن يعتمد الترتيبَين المذكورَين لحروف العربية؛ لأنّ أوّلهما الألف، وذلك؛ لأنّ الألف حرف معتلّ، فلمّا فاته الحرف الأوّل كَرِهَ أن يبتدئ بالثّاني – وهو الباء –؛ إلّا بعد حجّة واستقصاء النظر، فدبّر ونظر إلى الحروف كلّها وذاقها، فابتكر طريقة جديدة لترتيب الحروف بالاعتماد على مخرجها في الجهاز الصّوتيّ الإنسانيّ.

بدأ الخليل في ترتيب الحروف العربية من الأعمق وهو الحلق، وانتهى بالأقرب، وقد اعتمد في تحديد مخرج الحرف على حسّه وذوقه الصّوتيّ، فكان لتحديد مخرج الحرف يفتح فاه بالألف ثمّ يُظهِرُ الحرفَ الّذي يريد تحديد مخرجه فينطق به ساكنًا، فيقول: أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ، وانتهى فيها بحرف الميم، وجعل آخرها أحرف العلّة، فصار الترتيب الصّوتي الخليليّ على النّحو الآتي: (ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة).

وتطوّر الترتيب الصّوتيّ للحروف العربيّة، فكان لسيبويه ترتيب صوتيّ مختلفٌ عن ترتيب الخليل، ومثله ابنُ جِنيّ، ومن المحدثين من غيّر فيه، كإبراهيم أنيس، والطيّب البكّوش.